الفصل الثاني
مصير مجهول

١- الملعون :

لقد مضت عدة أعوام لا أتذكر من أحداثها أى شيئ وكأننى لم أعيشها من الأساس ، فتلك هى مدرستى الإعدادية حين أمر عليها أنظر لها فى حيرة وتحسر ، لقد أمضيت هنا ثلاث أعوام !! .. كيف كانوا ؟! .. من صاحبت ، ومن خاصمت ؟ .. وأين صديقى (بكر) ؟! .. كيف تخلصت من هذا الكئيب ؟! ..
لقد حسبت أنه كالقدر لا يسعنى التخلص منه ! ..

وفى طريق عودتي إلى المنزل رأيت ذلك الملعون يهرول ممسكا بفكيه فردة حذاء لأحدهم ، و .... هل ما لاحظته صحيح ؟! .. لقد .. لقد كان الكلب يبتسم أوو .. يضحك .. هل يعقل هذا أم أننى قد فقدت عقلى أخيرا ؟! ..

وحين دخلت إلى المنزل كان أحدهم يصرخ فى عصبية مفرطة قائلا ..
<< أقسم أننى سأقتله لكم .. أقسم أننى لن أفلته .. أقسم .. وإلخ >> ..
لقد كان هذا (عم جابر) فلا تنزعجوا ، إنه رجل طيب وودود ، ولابد أن هناك خطب ما غير الذى دار فى مخيلتكم ، فأنا لم أعد ذلك الشيطان الصغير كما فى

الماضى، لقد كبرت الأن وأصبحت شيطانا كبيرا ، ولم تعد هذه الأفعال الصبيانية تليق بى .. ولكن هناك شيطان آخر فى المنزل هو من يتولى مثل هذه الأمور ..

توجه إلي أبى فور رؤيته لى قائلا .. إبحث عن هذا الملعون وأحضر الحذاء قبل أن يمزقه فإن عمك (جابر) سوف يفضحنا فى الحى كله ..
فذهبت مسرعا حيث أعرف أين أجده ، وفور رؤية الكلب لى أخذ فى النباح المتصل ، وهذا يعنى أنه معترض ، ولكننى لم أبالى به وإنقضت عليه منتزعا الحذاء لأجده قد مزقه بالفعل .. أخخخ .. فالتختفى أيها الأحمق عن الأنظار فإن لم يقتلك عم (جابر) فسيقتلك أبى حتما .. أخذت الحذاء وهممت بالإنصراف حينها أخذ الكلب فى النباح المتقطع ، وهذا معناه أن ذلك الملعون يسبني .. لذا كنت أرد عليه كل نبحة بقولى .. أهو إنت .. أهو إنت ..

فأنا أتذكر يوم أن وجدنا هذا الكلب أنا و (بكر) .. كان حينها جروا صغيرا ملقى فى الشارع ، فقررت أن آخذه معى إلى المنزل وأتولى رعايته ، حينها قلت ل (بكر) أظن أنه سيكون كلبا جيدا ، فرد علي قائلا .. بل أظن أنه سيكون كلبا ملعونا .. فسألته عن وجهة نظره فقال .. وما ظنك بكلب يربيه شيطان مثلك ، ماذا عساه أن يصبح غير كلب ملعون ؟ ..

رحم الله أيامك أيها الصديق الكثيب ، فلو كان متواجدا معي الأن وشاهد بعينه ما أصبح عليه الكلب .. لقرأ علينا آية الكرسي وأحرقني أنا وهذا (الملعون) فى الحال ، فقد كان الكلب لديه خصلة مشابهة لخصلة (عبده)

لص الساندويتشات فى المدرسة الإبتدائية .. فكان الكلب سارق للأحذية ، وليست كل الأحذية ، فقط أحذية الضيوف .. ولم يكن من عادته أن يمزقها بل كان يحتفظ بها ، بخلاف حذاء عم (جابر) بالطبع ، فكان بينه وبين عم (جابر) ثأر وحساب يسويه معه .. فعم (جابر) ضيفا ذو خبرة قديمة ومخضرم ، فكان فور دخوله منزلنا يتأبط حذاءه ولا يفلته .. وأتذكر أنه فى أحد المرات جاء لزيارة أبى فكان يجلس بجواره ممسكا بحذاءه ، وكانا يتحدثان فى أمر هام ، بينما أخذ الكلب يغدو ذهابا وإيابا خارج حجرة الجلوس كالمجنون ..

وكان عم (جابر) يختلس النظر اليه من حين لآخر ، وفجأة قطع عم (جابر) حديثه الهام هذا مع أبى لينظر إلى الكلب وببتسامة ماكرة وخبيثة قال له ..

<< ريح نفسك مش هفلته من إيدى >> .. فأمطره الكلب حينها بوابل من النباح المتقطع والذى إستقبله عم (جابر) بابتسامة ساذجة تجهل حقيقة ما تتلقاه من سباب وإهانات ، فلم يكن أحد يعلم بحقيقة النباح المتقطع هذا غيرى ، فلو علم أبى فحواه لقتله وقتلنى معه منذ زمن ..

أخيرا دخلت إلى حجرتى .. لا تنزعجوا من تلك الأصوات إنها زمجرة كلاب الجحيم تلك ، فقد أصبحت ترافقنى وتقيم معى فى حجرتى ، وكما تسمعون قد أصبحت أصواتهم مسموعة للجميع ، لذا لا يقرب أحد هذه الغرفة مطلقا ، فقد تغير الوضع كثيرا كما أخبرتكم ، ولم يعد يزعجنى تواجد ورؤية هذه الكلاب فهى هنا لحراستى على أى حال ، فهناك العديد من الكيانات الأخرى تسعى للنيل منى ، ولولا تواجد هذه الكلاب لكنت الأن فى عتاد الموتى ..

وأشد هذه الكيانات خطورة وإصرارا على النيل منى تلك التى على هيئة الجمل ، فأتذكر أن أول مرة هاجمنى فيها هذا الكيان كان حين أتممت سن البلوغ مباشرة ، فكان هذا اليوم بمثابة إنتقالة نوعية للأحداث بالنسبة لى ولكل من حولى .. لقد كان جملا هائجا ، عظيم الهيئة ، يصدر صوتا كالرغاء أو الهدير عالى وشديد النبرة .. فإن كان صوت الكلاب انخلع له قلبى فيما مضى ، فصوت هذا الكيان تنخلع له روحى ..

لقد ركض هذا الجمل نحوى فاتحا فاه مصدرا هذا الصوت المرعب كما لو كان وحشا من وحوش الأساطير القديمة ، وكنت حينها حر الحركة ، فلذت بالفرار والنجاة بروحى ، وظل هذا الجمل يلاحقنى حتى كاد أن يدركنى ويفتك بى لولا هذه الكلاب ، فقد رأيتها تقابلنى مسرعة ومتهيأة للقتال ..

وكانت هذه هى المرة الأولى التى أستبشر فيها لرؤية هذه الكلاب ، حيث هاجمت هذا الكيان الهائج بلا تردد ومن ثم فقد أنقذتنى من الموت ..

ومن بعيد رأيت العديد من هذه الجمال الهائجة المهيبة تركض نحوى مصدرة هذا الصوت المرعب ، وحينها هممت بالفرار من جديد ، إلا أن حركتى قد قيدت مع ظهور الشيخ الأشيب من جديد فهذه علامته .. لقد ظهر ومن خلفه الظلام ، حيث خرج من هذا الظلام المئات من هذه الكلاب تركض مباشرة نحو تلك الوحوش الغاضبة .. كانت ملحمة مرعبة شاهدتها للحظات قبل أن يسحبنى شيئا ما بقوة وعنف من داخل ذلك الظلام ، فغلت وفارت الدماء فى رأسى وأحسست وكأن روحى تنتزع ، وكاد قلبى أن يتوقف عن الخفقان ... أاااااااااه

كانت صرخة مدوية أطلقتها أيقظت الجميع وأصابتهم بالهلع والذعر ،
ليس فقط جميع من فى المنزل .. بل إستيقظ الجيران أيضا وتعالت أصوات نباح الكلاب التى تجمعت من جميع الأحياء المجاورة أمام منزلنا فى هياج إستنفر الجميع وأخرجهم من منازلهم مذعورين ، ولم أستطع هذه المرة أن أخفى حالة الفزع والخوف التى تملكتنى عن من حولى ..
ومنذ ذلك اليوم وأصبحت غرفتى محرمة على الجميع دونى ، فبمجرد الإقتراب من محيطها تتعالى أصوات النذير ..

لقد حاول الجميع حينها مساعدتى دون جدوى ، حيث أحضر لى أبى مجموعة من المشايخ المعالجين ، فسقط أحدهم فى حالة صرع فور دخولهم المنزل ولاذ البقية بالفرار ، وأعلنوا عدم قدرتهم على مواجهة هذا الشئ المجهول !!! .. وحين تملك اليأس من الجميع إضطروا للإستعانة بأحد هؤلاء الرجال الملاعين من الدجالين .. وحين أتوا به وقف أمام المنزل لبعض الوقت ثم إنصرف رافضا الدخول دون أن يوضح سببا لذلك ! ..حتى حين ذهبوا بى إلى منزله إنتفض من مكانه فور دخولى عليه الحجرة وكأننى الموت جاء ليطلبه ، فأمرنى بسرعة مغادرة بيته دون أن يوضح أيضا سببا لذلك !!! ..

لقد أصبحت منبوذا بين الجميع ، فالكل أصبح يتجنب حتى النظر إلى وجهى ، لقد هجرنى الأصحاب والأحباب ، وتدهورت حالتى كثيرا حيث ضعفت ذاكرتى لدرجة أننى بت أحمل فى جيبى ورقة مكتوب فيها أسماء عائلتى وكل من أتعامل معهم من حولى ، فأطلع عليها كل يوم كى لا أنسى أسماءهم ! ..

وأما بالنسبة للدراسة فهذه هى السنة الرابعة لى علي التوالي فى الصف الثانى الثانوى ، حيث بدأت فى فقدان الذاكرة حين وصلت لهذه المرحلة من التعليم ، ولم أعد ألتحق بأى من المدارس العامة أو الخاصة ، فلم يعد الوضع يسمح بذلك فبت أدرس فى المنزل ..

إستقر الوضع على هذا الحال وتعايشت وتعايش من حولى معه ، فأنا كما ترون أصبحت بلا مستقبل بل وبلا حياة ، وفى كل ليلة أذهب فيها للنوم أجهز نفسى لعلها تكون الأخيرة ، ومازلت لا أملك تفسيرا لكل ما يحدث لى حتى الأن ، ولكننى عزمت على فعل أمرا ما ..

ففى كل ليلة أرى فى نومى ذلك العقار رقم (١٠١) ..
إنه العقار الأشهر فى بلدتى ، فقد تداول الناس عنه العديد من القصص والحكايات المرعبة ، وهو عمارة سكنية كان يسكن فى أحد شققها إمرأة أم لطفلتين ، وقد قتلت طفلتيها ثم قتلت نفسها حين هجرها زوجها ، ومنذ ذلك الحين يسمع الناس صراخ وبكاء الطفلتين والمرأة عند منتصف اليل من كل ليلة .. فغادر السكان العقار وأصبح الأن مهجورا ..

كنت أرى ذلك العقار بوضوح ، بل وكنت أرى تلك المرأة وطفلتيها واقفين عند أحد النوافذ ينظرن إلي وكأنهن يردن إخبارى بشئ ما ، ولكن هذه الجمال اللعينة لا تمهلنى أبدا ، حيث تظهر فجأة من حيث لا أدرى وتبدأ فى ملاحقتى ، ولذلك قررت أن أزور ذلك العقار ، فإما أن أجد فيه خلاصى وتنتهى معاناتى ، وإما أن أجد فيه هلاكى وتنتهى أيضا معاناتى ..

****

٢- العقار رقم (١٠١) :

إنه مساء الأربعاء حين جائنى صديقى الوحيد (عرفة)
والذى صراحة لا أتذكر أين ومتى صادقته ؟! ..
ولماذا لم يهجرنى إلى الأن كما فعل بقية الأصدقاء ؟ ..
فإن كل ما أعرفه عنه أن إسمه مدون فى الورقة التى أحملها فى جيبى وأمامه علامة استفهام ؟ .. على أى حال أنا لم أعد أشغل بالى بتذكر أى شئ ، فقد إعتدت على مقابلة أحدهم لى بالترحاب والتهليل من حين لآخر أثناء سيرى فى الطرقات فأقابله بالمثل دون أن أعرف من هو وأين تعرفت عليه ..

(فعرفة) كان طالب جامعى ولابد أنه أحد أصدقاء هذه الفترة الممحاة تماما من سجلات ذاكرتى .. وقد إعتاد أن يأتينى كل ليلة ليذاكر معى ، كما كانت هذه هي عادته معى فيما مضى على حد قوله ، وكان يسعدنى قدومه فهو كل ماتبقى لى من الأصدقاء على أي حال ..

وكالعادة فها أنا أمسك بالكتاب محاولا أن أربط الكلمة بالكلمة التى تسبقها والتى تليها لعلى أخرج من ذلك بجملة مفيدة أنير بها ظلمات عقلى ، فعبثا أحاول أن أفعل! ..

بينما هذا الملعون يقلب الصفحة تلو الآخر أمامى دون توقف ، ثم توقف للحظة عن تقليب الصفحات وقال:

- << هل لى بسؤال ؟ >> ..

- << على الرحب والسعة تفضل ! >> ..

- << لماذا أرى عينك غريبة ومخيفة إلى هذا الحد ؟! .. حتى أننى لا أجرؤ على النظر إليها لفترة طويلة فى بعض الأحيان !! >> ..

- << إذا لا تنظر إليها ياصديقى وينتهى الأمر ! >> ..

ثم عاود تقليب الصفحات قبل أن يتوقف ويعاود السؤال من جديد قائلا ..

- << هل صحيح أنك متزوج من إحدى الجنيات الحسناوات ؟ >> ..

- << ومن أين لك بهذا القول ؟ >> ..

- << الجميع يتحدث عن الأمر .. يقولون أنها تسكن غرفتك ولا تدع أحدا غيرك يقربها .. أهذا صحيح حقا ؟ >> ..

وهنا نظرت إليه وقلت فى نفسى .. الأن حان وقت رحيلك أيها المتطفل الوقح

- << وهل يشغلك الأمر لهذا الحد ؟ >> .. قال .. << بالطبع نعم >> ..

- << وعن أى شيئ تريد أن تسأل بالتحديد ؟ >> ..

- << عن هيأتها وشكلها .. كيف تكون ؟ >> ..

- << يمكنك أن تنظر إليها بجانبك وتعاين بنفسك >> ..

هنا .. إتسعت عيناه ذعرا ، وتصلب جسده ، وتصبب جبينه عرقا .. فقلت :

- << هدئ من روعك ياصديقى فلا داعى لكل هذا الخوف >> ..

فهدأت نفسه قليلا وبدت إبتسامة طمأنينة ترتسم على قسمات وجهه ..

ثم أردفت قائلا .. << فأنت لا يمكنك رؤيتها بينما هى تحدق بك الأن >> ..

فعاد لحالته الأولى وزاد عليها اصفرار لون بشرته وشحوبها ..

فاسترسلت قائلا .. << أنا لا أعرف حقا سر إهتمامها بك لهذا الحد ؟! ..

فقد بدأت أغار منك بالفعل ياصديقى >> ..

فكادت عيناه أن تدمع .. حيث قال فى ذعر وبكلمات متلعثمة ومرتبكة ..

- << ما هذا الصوت ؟ >> .. فقلت .. << أي صوت ؟ >> ..

- << سمعت وكأن أحدا ينادى علي من بعيد ! >> .. فقلت .. << أحقا ؟! >>

- << نعم .. أقسم أننى سمعت ذلك >> .. فقلت له فى هلع ..

- << إذا إياك أن تجيب على هذا النداء >> ..

وهنا سقطت بعض القطرات من عينه رغما عنه ..

هممت بالوقوف وقد ملأنى التوتر والقلق حيث قلت له ..

- << قم الآن وسارع بالخروج من هنا حالا وإياك والعودة >> ..

فهب واقفا كالملسوع وقبل أن يغادر بادرته قائلا ..

- << (عرفة) عد إلى منزلك فى الحال وإياك أن تجيب على هذا النداء مهما حدث .. وفى الطريق إياك والإلتفات خلفك ، أو التوقف للتحدث مع أحدهم ، فإنهم

يطلبونك ياصديقى .. وحين عودتك إلى المنزل .. إن أتاك أحد من أهلك ليحدثك فانظر إلى عيناه أولا ، فإن لاحظت فيهما شيئا غريبا فلا تجيبه ، وإن اقترب منك حينها .. فدافع عن نفسك ياصديقى .. كان الله في عونك >> ..

فأسرع (عرفة) بالإنصراف بخطى سريعة ومرتبكة ، وما أن إبتعد عنى ببضع خطوات حتى عاودت مناداته من جديد ، فأخذ ينهب الأرض نهبا حتى توارى عن ناظري .. فقد كنت أنا من أنادى عليه .. فأنا أجيد موهبة التحدث من بطنى دون أن أفتح فمى .. فما من موهبة شيطانية كهذه إلا وكنت أجيدها حق الإجادة ..والآن وبعد أن تخلصت من آخر الأصدقاء ، يمكننى أن أذهب غدا لألقى حتفي بسلام ، فأظن أنه ما من أحد سوف يفتقدنى بعد الأن ..

وفي صباح يوم الخميس حيث عقدت النية على إقتحام ذلك العقار ، كان علي أن أختار الوقت المناسب حتى لا يرانى أحدهم عند الدخول ، فكان أمامى خيارين .. إما أن أذهب وقت الظهيرة حيث تكاد أن تخلوا الشوارع من المارة فى هذا التوقيت لشدة الحر ، أو أن أذهب فى ساعة متأخرة من الليل ..

فوقع إختيارى على وقت الظهيرة ، فكونى لم يعد لدى ما أخسره لا يعنى أن أقسو على نفسى لهذا الحد ..

وكنت متواجد فى غرفتى حيث تعالت أصوات زمجرة الكلاب من حولى ، حين إقترب أحدهم من الغرفة أكثر من اللازم .. وكانت هذه أمى .. ودون أن تغامر بالإقتراب أكثر ذلك قالت فى توجس ..

- << هيا يا بنى فقد إنتهينا من تناول الإفطار وأنت لم تأتى بعد !! >> ..

- << حاضر يا أمى فأنا قادم فى الحال >> ..

- << لقد قلت ذلك منذ ساعة تقريبا ولم تبرح مكانك بعد ! >> ..

- << منذ ساعة ؟! .. لم أكن أنا يا أمى إذا من أجابكى فى المرة السابقة >> ..

وهنا سمعت صوت خطوات مرتبكة تبتعد مسرعة عن الغرفة .. فقلت ..

- << تمهلى قليلا يا أمى ، فأنتى لم تتعافى بعد من سقطة الإسبوع الماضى >> لا أعرف حقا متى تعتاد أمى على هذا الوضع ؟! ..

وأثناء تناولى لفطورى إذا بأحدهم ينادى علي من الخارج ، فخرجت لأجده الأخ الأكبر ل (عرفة) وقد جاء يسأل عنه قائلا ..

- << هل بات (عرفة) عندك البارحة ؟ >> ..

- << لا .. فقد كان عندى البارحة وخرج عائدا إلى المنزل ..

هل حدث له مكروه ما ؟ >> ..

- << المجنون .. لقد لكم أباه على وجهه فور عودته إلى المنزل ليلة البارحة دون سبب ! .. وقد طرده أبى من المنزل >> .. فقلت .. << أوقد فعلها ؟! >> ..

- << نعم .. أتصدق هذا ؟! >> .. قلت .. << ولم لا .. فهو أحمق على أى حال >> فنظر إلي فى إندهاش ، فبادرته قائلا .. << لا عليك ، فأنا فقط أمزح >> ..

- << وهل تعرف أين يمكننى أن أجده الآن ؟ >> .. قلت .. << للأسف لا >> .. فشكرنى وانصرف يبحث عن أخاه ..

وفى الوقت المحدد من ظهيرة ذلك اليوم إستجمعت عزيمتى وغادرت المنزل مباشرة فى إتجاه العقار (١٠١) ، حيث لن أدع لنفسى مجالا للخوف والتردد ، فقد سئمت الحياة على هذا النحو ولابد لى من خلاص ..

كان الشارع خالى تماما من المارة ، غير أن هناك كشك صغير مفتوح فى الجهة المقابلة للعقار ، ولكنى لم أتردد حيث لن تتاح لي ظروف أو توقيت أفضل من هذا .. فدلفت مسرعا إلى مدخل العقار دون أن ألتفت حولى .. ويبدوا أن صاحب الكشك قد رآنى ، حيث أخذ يصيح فى قائلا ..

- << إرجع أيها الفتى .. إرجع أيها الأحمق >> .. فقال أحدهم ..

- << ما الأمر ياعم مصطفى ؟ >> ..

- << لقد دخل أحد الفتيان للتوه هنا وحاولت تحذيره لكنه لم يلتفت لى ! >>..

- << وهل أنت متأكد أنه فتى ؟ >> ..

- << بالطبع وهل ترانى قد عميت ؟ >> ..

- << لا ولكن ما من أحد فى البلدة إلا ويعرف بأمر هذا العقار ، ومن المستحيل أن يغامر أحدهم بالدخول هناك !! .. فاستعذ بالله وارجع إلى الكشك لعلهم (اللهم احفظنا) يتلاعبون بك ويستدرجونك للداخل >> .. << أعوذ بالله >>

أخذت فى الصعود على درج السلم متسائلا فى نفسى .. أكانت النافذة التى كنت أراهم ينظرون إلي منها فى الدور الرابع أم الخامس ؟ ..

ولكن حيرتي لم تطل كثيرا حيث وجدت باب الشقة مفتوحا بالفعل على مصراعيه فى الدور الرابع وكانت الأم وطفلتيها فى إستقبالى عند مدخل الباب .. وقفت للحظات حيث هالنى الموقف وانتابنى الخوف والتردد ، فلم تكن هيأتهم هكذا حين كنت أراهم فى نومى ! .. لقد كنت أرى إمرأة وطفلتين عاديين ، ولكن ما أراه الأن أمام عينى شئ آخر مختلف تماما ..

فالطفلتين كانتا منتفختا الوجه ويميل لونهما للون الأزرق ، بينما شفتاهما لونهما أزرق صريح ، يبدو أن المرأة قتلتهما غرقا ، بينما المرأة كانت الدماء تسيل من معصمها بغزارة ، فيبدو أنها هكذا قتلت نفسها أيضا ، كانت بشرتها شاحبة جدا ، بينما الدموع تنهمر من عيناها وهى تنظر إلي باسمة مستبشرة حيث قالت .. هلم إلينا فقد طال إنتظارنا لك كثيرا .. فتقدمت نحوهن بخطى ثابتة بعد أن ذكرت نفسى أنه لم يعد لدى ما أخسره ، وأننى جئت الى هنا بإرادتى بحثا عن الخلاص أيا كان ..

دلفت إلى داخل الشقة بينما المرأة وطفلتيها يتقدمننى بخطوات حيث أغلق الباب فور دخولى ، وجلست المرأة على كنبة الأنتريه فى الصالة ، فجلست بدورى على أحد المقاعد أمامها ، بينما الطفلتين فقد إستقرتا تحت قدماى ، حيث جلستا على الأرض ينظران إلي فى شوق وحنين غير مفهوم بالنسبة لى ،

وكذلك المرأة لم ترفع بصرها عنى مبتسمة بينما الدموع تنهمر من عيناها بلا توقف ! .. فحاولت أن أتغاضى عن أمر كلتا الطفلتين عند قدماى وقلت للمرأة .. – << أظن أن هناك ما تردن إخبارى به ولهذا جئت إلى هنا .. فما خطبكن ؟ >> – << نريد إخبارك بأننا فى حاجة إليك ، فنحن هنا منذ زمن بائسين مستوحشين بلا زائر ولا أنيس ، وقد تعلق بك أطفالى فور رؤيتهما لك وكذلك أنا ، فقد تعلقت بك كثيرا وأريدك زوجا لى وأبا لأولادى >> ..

– << وكيف يكون هذا ؟! .. فأنا لا أنتمى لعالمكم وأظنكى تعلمين ذلك ! >> ..

– << بل أنت لا تعلم شيئا عن نفسك >> ..

– << فأخبرينى إذا بما لديكى إن كنتى تعلمين شيئا عن أمرى >> ..

– << أنت تنتمى إلى العالمين ، فأنت الوحيد من بين الأحياء الذى يستطيع الولوج إلى عالمنا بينما لا يستطيع أقرانك فعل ذلك ، فأنت تفعل ذلك فى كل ليلة دون أن تشعر ، لذلك هم يسعون فى طلبك >> ..

– << ومن يكونوا هم ؟ .. وماذا يريدون منى ؟ >> ..

– << الشياطين من بني جنسنا يريدونك سفيرا لهم لعالم البشر ..

بينما مردة الجن وحراس الكنوز يريدون التخلص منك قبل أن تتم الصفقة بينك وبين الشياطين ويأخذوا منك العهد .. وهذا لأن كنوذهم بل وعالمهم بالكلية سيكون مستباحا لك فور إبرامك لهذا العهد ، ولن يستطيعوا إيقافك حينها ..

لذلك هم يسعون لقتلك بينما تدافع عنك الشياطين وتحميك >> ..

- << وهل لى فى ذلك من خلاص ؟ >> ..

- << لا أعلم لك خلاصا من هذا >> ..

- << الأن فهمت كل شئ .. أشكرك وأعدك أننى سأكون دائم الزيارة لكن لأونس وحشتكن من حين لآخر ردا لهذا الجميل >> ..

وهممت بالوقف ومغادرة المكان إلا أن الطفلتين أمسكتا بقدماى ، فأحسست ببرودة شديدة تسرى فى جسدى رغم شدة حر ذلك اليوم .. وقالت المرأة .. أنت لن تتركنا لأى مكان ، فأنت الآن زوجى .. وستظل معنا هنا للأبد ..

حينها سمعت صوت زمجرة الكلاب قادمة من إحدى الغرف ، فأسرعتا الطفلتين ليحتميا بأمهما ، حيث أحاطت بهما فى ذعر وانزوت فى أحد الأركان هناك .. وتعالت صرخاتهن بمجرد رؤيتهن للكلاب مكشرة عن أنيابها .....

- << ألم أقل لك ياعم مصطفى ؟ >> ..

- << أعوذ بالله ، انها المرة الأولى التى يحدث فيها الأمر على هذا النحو وفى هذا التوقيت من النهار ! >> ..

- << هيا فالتقفل الكشك وترجع إلى بيتك الأن >> ..

- << حاضر يا بنى حاضر >> ..

- << وأنتى أيتها الفتاة هناك .. إدخلى وأغلقى عليكى النافذة بسرعة >> ..

قمت من مكانى مسرعا للوقوف حائلا بين الكلاب الغاضبة وبين تلك المرأة وطفلتيها ، فقد رق قلبى وانفطر لهلعهن وصراخهن ، فمهما يكون كنه هذه الكيانات إلا أنني الأن أمام هلع وصرخات أم وأطفالها ..

فبدأت أشعر بالأثقال والقيود تتملكنى .. إنه ذلك الاشيب من جديد ، لقد ظهر عند أحد الأركان هناك ، فهذه هى علامته كما تعلمون .. وسمعت صوتا فى أذنى يشبه حفيف الثعبان .. فأظننى الأن قد فهمت سر هذه القيود العينة ، إنه إذا ثعبان ضخم يرافق ذلك الشيخ الأشيب ، وهو من يقيد حركتى فى كل مرة دون أن تراه عينى .. وقد أحكم الثعبان قبضته علي ، وبدأت الكلاب فى التقدم من جديد باتجاه الأم وطفلتيها الصارخين ، فجاهدت لأفتح فمى حيث خرجت منه الكلمات متثاقلة ، فقلت .. دعوهم وشأنهن وإلا فلا عهد بينى وبينكم ، فتوقف حينها الكلبين عن الزحف ، وفتح باب الشقة على مصراعيه من جديد ، وأفلتنى الثعبان من قبضته ، ففهمت أن علي إذا مغادرة المكان ..

فقمت وأنا أشعر بدوار وضغط رهيب على رأسى فقد كان الثعبان اللعين يعتصرنى ، توجهت فى تثاقل إلى باب الشقة والذى قد أغلق خلفى فور خروجى منه ، حينها توقف صراخ الأم وطفلتيها ، فنزلت إلى الشارع حيث وجدت الكشك قد أغلق وكذلك كافة النوافذ المطلة على الشارع ، وقد خلى الشارع تماما من المارة ، فأسرعت فى الإبتعاد قبل أن يرانى أحدهم ويفتضح أمرى ..

وأخيرا عدت إلى منزلى فكم كان الطريق إليه طويل جدا فى ذلك اليوم ، وحين دخلت إلى المنزل كان هناك أحدهم يصرخ فى عصبية مفرطة قائلا.. << أقسم أننى سأقتله لكم ، أقسم أننى لن أفلته ، أقسم .. إلخ >> .... ، فقد كان هذا (عم جابر) فلا تنزعجوا ..

****

٣- حوار مع شيطان :

صعدت منهكا إلى غرفتي وإرتميت على السرير من فرط الإجهاد ، فقد كانت تجربة اليوم قاسية جدا ، ومازلت لا أصدق أننى قد خرجت منها حى أرزق ، ولكننى على الأقل أصبحت الأن أعرف وأفهم ما يدور من حولى ، ويبقى على معرفة ما ينبغى علي فعله لأنهى ذلك الأمر ..

حينها سمعت طرقات على الباب .. فنظرت ناحيته متعجبا وتساءلت فى نفسى ترى من تجرأ على الإقتراب من الغرفة الى هذا الحد ؟! ..
وأين ذهبت تلك الكلاب ؟ .. فقلت فى ترقب .. تفضل ، وكان هذا أبي !!! ..
وقد زالت دهشتى سريعا حين وقعت عينى على عينه ، فأنا أعرف تلك النظرة جيدا وأعرف لمن تكون .. تلك النظرة التى تخترق جسمي وتوجعه ..
تلك الأعين العميقة شديدة السواد الخالية تماما من اللون الأبيض ..
إنه ليس أبى .. إنه ذلك الأشيب ، ولذلك لم تعترضه الكلاب ..

إقترب منى وكنت قد إعتدلت في جلستيي حيث كنت ممددا قبلها على السرير ، فجلس بجوارى تماما ، في حين أن المفاجأة قد أربكتني وشلت تفكيرى بل وحركتي .. ولكنني حينها تظاهرت بالثبات واللامبالاة ، وقد أحسنت فعل ذلك ..

- << كيف حالك بنى ؟ >> .. قلت .. << ما ورائك ؟ >> ..

- << لقد حان الوقت كى نأخذ منك العهد >> .. قلت .. << أى عهد ؟! >>

- << العهد اللذى يجعلك منا ونحن منك ، فكن معنا تكن لك المنعة والقوة والسلطة والمال ، وتكن بذلك سيدا بين العالمين >> ..

- << عن أى منعة وعن أى قوة تتحدث ؟! .. لقد دمرتم حياتى فلم يعد لى حياة ، وهجرنى بسببكم والأصحاب الأحباب >> ..

- << لولانا لتخطفتك مردة الجن ، ولغدوت من الأموات !!! >> ..

- << لولا سعيكم ورائى لما سعوا هم لقتلى .. أنا لا أفهم حقا ماذا تريدون منى ؟ كما أننى لا أرى لدى ما يثير إهتمامكم لهذا الحد ! >> ..

- << بل لديك الكثير ، ونحن نريدك معنا ، سفيرا بين العالمين ، ووسيطا بيننا وبين أتباعنا من بني جنسك >> ..

- << لماذا يكون هناك وسيط ؟! .. ولماذا أنا بالذات ؟! .. لماذا لا يكون غيرى ؟! كأن يكون أحد أتباعكم هؤلاء ، فهم أولى مني بذلك الأمر ؟! >> ..

- << لأنك هو بالذات من يصلح للأمر دونا عن غيرك .. فبنى جنسك محجوب عنهم عالمنا فلا يمكنهم رؤيتنا أو سماعنا بوضوح .. ولكى نتمكن من إختراق تلك الحجب يتطلب منا بزل الكثير من الجهد والعناء ، والقيام بطقوس معينة وفى ظروف خاصة >> ..

- << وكيف لي إذا رؤيتكم وسماعكم بينما يتطلب الأمر كل هذا العناء؟>> ..

- << لأنك مختلف >> .. قلت .. << وما الذى يجعلني مختلف ؟ >> ..

- << لأنك بالفعل تخترق تلك الحجب ! .. ولهذا أنت ترانى الآن وتسمعنى بوضوح دون عناء .. بل وتخترق أيضا تلك القوانين التى تحكم عالمنا المادي بأسره ! .. ونحن لا نعرف حقا كيف يحدث الأمر ! .. فما من أحد سواء من بنى جنسنا أو جنسكم حدث له الأمر قبل ذلك ، إللا وهلك أو علق إدراكه وفقد عقله

أما أنت .. فلا نعرف حقا كيف تنجو من ذلك ؟! >> ..

- << وعلى أي شئ يتبعكم أتباعكم من بني جنسنا ؟ >> ..

- << على التحرر .. على الخلاص .. على الحرية >> ..

- << التحرر .. والخلاص .. والحرية .. من ماذا ؟! >> ..

- << من العبودية .. من سطوة الإله >> ..

- << أتقصد ذلك الإله الذي عرشه فى السماء ؟! >> ..

- << ومن غيره ! >> .. قلت فى حنق .. << أى حمقى تكونون ؟! .. كيف لكم الخلاص من سطوة الإله وأنتم تسعون في ملكه وتحت عينه ؟! .. فهذه الأرض أرضه ، وهذه السماء سماءه ! .. ألا تتفكرون ؟ >> ..

– << ومن هذا كله نريد أن نتحرر .. فلا نريد سعيا على أرضه وعيشا تحت سماءه .. لانريد أن نكون تحت رقابته وقبضته ، يذل من يشاء ويعذ من يشاء .. نحن نريد التحرر من كل تلك القوانين والقيود التى تكبلنا .. فنحن سجناء فى فى كونه المادى هذا ونسعى للتحرر منه >> .. قلت .. << إلى أين ؟! >> ..

– << إلى حيث كنا قبل بداية الخلق >> ..

– << وهل كنا قبل ذلك إلا عدم ؟! وبأى قوة لديكم ستنالون حريتكم هذه؟ >>

– << بقوتنا وإرادتنا .. فنحن ألى بأس شديد وقوة >> ..

– << بقوتكم وإرادتكم ؟! .. أتقصد تلك القوة التى وهبنا الله إياها حين أوجدنا من العدم حيث لم يكن لنا إرادة ولاحول لنا ولا قوة ؟ .. أتريدون أن تحاربوا الإله بحوله هو وقوته ؟! .. ألهذا أهدتكم عقولكم ؟! >> ..

– << غريب أن يكون هذا قولك ، بينما أنت من بإمكانه التحرر بالفعل من كل هذا ؟! >> ..

– << ومن قال لكم أنه بإمكانى فعلها .. أو أننى أتحرر من الأساس ؟! .. إن كان الأمر يحدث بغير إرادة منى وينتهى كذلك بغير إرادتى ، وإن كنت لا أملك أن أمنع حدوثه من الأساس ، فعن أي فعل وعن أي إرادة تتحدث ؟! .. فإن كنت لست أنا الفاعل ولا أنتم فمن يكون الفاعل برأيك غيره هو .. إنه الإله الفاعل الوحيد في هذا الوجود حقيقة .. حتى ما ننسبه لأنفسنا من فعل أو إراده

فهو فيض من عطاء الإله لنا ، وهو أيضا فتنة لنا ليرى صنيعنا .. فإن كنتم تريدون فرارا من الإله ، فإنه لا مفر منه إلا إليه >> ..

هنا قام من مكانه غاضبا .. وأحسست حينها بضيق شديد في صدري ، وشعرت بحلول طاقة سلبية رهيبة ، قابضة للأنفاس تملئ أرجاء الغرفة .. حتى ظننت أنه ربما أفقد وعيي .. فظل واقفا فى صمت لبعض الوقت ، بينما جاهدت أنا كي أبدوا متماسكا .. ثم قال ..

- << أنت منا ونحن منك ، وأنت لنا شئت أم أبيت >> ..

- << لا أحد يرغمنى على فعل شيئ وأظنك تعلم عنى ذلك >> ..

- << إذا فليكن إنضمامك لنا عن طوع ورضا >> ..

هنا فكرت مليا ثم أردفت قائلا ..

- << قبل ذلك يجب أن أسترد حياتى التى دمرت بسببكم أولا ..

وبعدها أنظر فى أمر العهد بينى وبينكم >> ..

- << وكيف تريد أن يكون ذلك ؟ >> ..

- << أن تتركوننى وشأنى لفترة أستعيد فيها حياتى ، لا أريد أن أرى أو أسمع أو أشعر بما لا يراه ولا يسمعه ولا يشعر به الآخرون >> ..

- << لك ما طلبت وسيكون لنا ما نريده بعد حين >> ..

****

كنت أظن أن الحمق صفة لاتتواجد إلا فى بنى البشر فقط ، ولكن على ما يبدوا أنها صفة متفشية فى كلا الجنسين ، وأنا أجيد التعامل مع الحمقى كما تعلمون فالحمقى هم الحمقى جميعهم يتشابهون حتى وإن إختلفت أجناسهم ! ..

لم أجد سبيلا للتفاهم مع ذلك الشيطان ولم يكن أمامى غير الحيلة والمماطلة فكل ما أردته حينها هو هدنة أستعيد فيها حياتى الضائعة من جديد ..

فرأيت أن علي أن أظفر باليوم ، وأن أدع شأن الغد للغد ، لعله حين يأتى ذلك الغد أكون قد علمت ما ينبغى علي فعله حياله ، أو لعلى لا أدرك ذلك الغد من الأساس ! ..

وقد كان .. فقد صدق الأشيب وعده لى ، ولم أعد أر ى من حينها أى أطياف أو كيانات من عالم الجن أو حتى أشعر بوجودهم من حولى كما كان فى السابق ،

إلا أننى مازلت أرتقى وأتحرر من ذلك الجسد من حين لآخر ، إلى اللازمان واللامكان واللامنطق .. فهذا الأمر لا دخل لهم فيه كما لا دخل لى أنا كذلك .. ولكن يمكننى تحمل ذلك الأمر والتعايش معه ، فعلى الأقل لم يعد هناك من يطاردنى أو يسعى لقتلى .. وكان علي إصلاح كل ما أفسدته تلك الظروف ، سواء من ناحية علاقتي الشخصية بكل من حولى ، أو إكمال مسارى التعليمى ..

فبدأت أستعيد حياتى شيئا فشئ ، بعد أن قمت بإجراء بعض التعديلات الجزرية على شخصيتى .. فلم أعد ذلك الشخص الذى يحتقر ويسفه كل من

حوله ويرى أن الجميع دونه فى التفكير والتدبير والتعقل ، فلا وقت أضيعه فى هذا الهراء ، فجل همى هو إستعادة حياتى والتداخل والتصالح مع جميع من حولى بما فيهم هؤلاء الذين كنت أصفهم بالحمق فيما مضى ..

لم أعد أريد أن أكون مميزا وفريدا بعد الأن ، أريد فقط أن أكون واحدا من هؤلاء الناس وأن يكون لي حياة كما لهم حياة ..

أما بالنسبة للتعليم .. فقد تمكنت من اكمال تعليمى بعد أن إستعدت قدرتى على الحفظ والإستذكار شيئا فشيء ، وقمت بتحويل مساري التعليمى من الثانوية العامة إلى التعليم الصناعي ، وهذا لأننى كنت قد إستنفذت سنوات الإعادة المستحقة لى فى الثانوية العامة .. ومن خلال التعليم الصناعي تمكنت من الإلتحاق بإحدى الكليات التابعة لجامعة قناة السويس ببورسعيد ، لأبدأ بذلك عهد جديد ، بشخصية جديد ومختلفة تماما عن تلك الشخصية التى خلقتها وصنعتها ظروف غريبة وغامضة .. فقد بت شخصا ودودا يتسم بالمرح والتواضع وتقدير وحب الآخرين له .. وربما بالبلاهة والسذاجة إن لزم الأمر ..

****